

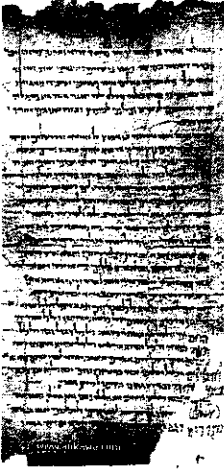
د. عصام عبدالله - أستاذ الفلسفة جامعة عين شمس



### المسيح في سفر إشعياء

عند قراءة هذا السفر للمرة الأولى، لا بد وأن تستشعر أنه أحد أسفار العهد الجديد، وأن كاتبه معاصر لزمن السيد المسيح، أو العكس، لما فيه من تفاصيل دقيقة وحميمية، لا يقدر علي سردها إلا شاهد عيان قريب جداً، صاحب بصيرة ثاقبة وذاكرة وثائقية لا تخطئ. وقد تزداد عجباً حين تعلم أنه دون قبل ميلاد السيد المسيح بأكثر من 700 سنة !

### المخطوط الأثري



يعود سفر إشعياء النبي بكامله إلى القرن الثاني قبل ميلاد السيد المسيح ، وقد تم اكتشافه سنة 1947 في مغاير وادي قمران بجوار البحر الميت بالأردن بواسطة رعاة غنم من العرب المسلمين، وذلك في قدور مغلقة مخفاه في المغاير قاموا بفتحها ووجدوا فيها لفائف من الجلد لكثير من أسفار الكتاب المقدس العهد القديم ومن ضمنها نسخة كاملة لسفر إشعياء باللغة العبرية مطابق تماماً لسفر إشعياء الموجود بين أيدي اليهود حتى يومنا هذا وأيضاً مطابق للترجمة السبعينية اليونانية الموجودة لدى المسيحيين منذ بداية المسيحية...

وقد قام رعاة الغنم الأردنيين ببيع جميع الأسفار التي عثروا عليها بعضها كامل وبعضها قاموا بتكسيه وهو جاف بفعل الزمن إلى المطران السرياني مارصموئيل يشوع الذي حمل هذه الأسفار المغلقة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث صار مطراناً لنيويورك. ثم قام ببيعها إلى إحدى الجامعات الأمريكية لتقوم بمعالجتها وفتحها لقراءة صفحاتها إذ كانت ملفوفة (على بعضها) مثل الاسطوانة حسب نظام الكتب في زمن ما قبل ميلاد السيد المسيح...

وبعد ذلك قامت الجامعة في أمريكا بتسليم هذه المكتشفات إلى الجامعة العبرية في تل أبيب. وتوجد نسخة كاملة من سفر إشعياء موجودة في مصر في دير القديسة دميانة ببلقاس ، تم عملها بالتصوير المتخصص بنفس لون الجلد، وطولها حوالي سبعة أمتار والصفحات مكتوبة إلى جوار بعضها. كما توجد بالدير أيضاً الترجمة الإنجليزية لهذا السفر من النص العبري المازوري الذي يعتمد اليهود عليه أساساً ومن النص الموجود في مخطوطة قمران المذكورة. وكل ما هو جوهري في هذا السفر فهو مطابق تماماً في كلا النصين...

ويعد هذا الكتاب القيم الذي نعرض له ، من أهم الدراسات المتعمقة التي صدرت حديثاً باللغة العربية عن هذا المخطوط الأثري ، لنيافة الأنا بيشوي سكرتير المجمع المقدس ومطران دمياط وكفر الشيخ والبراري ورئيس دير القديسة دميانة ببراري بلقاس والأستاذ بمعهد الدراسات القبطية والكلية الإكليريكية..

يحلل الأنبا بيشوي ببراعة علي طول صفحات الكتاب - ( 252 صفحة من القطع الكبير ) - هذا السفر القيم بإصحاحاته (66) ، وهو يربط ويقارن ويتأمل أقوال إشعياء ونبوءاته ، بالعهد الجديد : الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل والرسائل وسفر الرؤيا ، فضلا عن القداشات والتواريخ والشخصيات والأحداث المختلفة وقانون الإيمان ، مما يتطلب تضافر مجموعة من المناهج الحديثة كالتأويل واللسانيات والسيميولوجيا وعلوم اللغة والتاريخ والجغرافيا والجيولوجيا ، فضلا عن علم اللاهوت المقارن...

وعلي سبيل المثال ، يشرح لنا عبارة من أربع كلمات فقط هي : " ليتك تشق السماوات وتنزل " ، مستخدما كل هذه المناهج بسلاسة وحرافية عالية...

" يقول إشعياء النبي قرب نهاية السفر المبارك مخاطبا الرب الإله :

" ليتك تشق السماوات وتنزل من حضرتك لتزلزل الجبال . كما تشعل النار الهشيم وتجعل النار المياه تغلي لتعرف أعداءك اسمك لترتعد الأمم من حضرتك ، حين صنعت مخاوف لم تنتظرها نزلت . تزلزلت الجبال من حضرتك . ومنذ الأزل لم يسمعوا ولم يصفوا . لم تر عين إليها غيرك يصنع لمن ينتظره " ( إش 64 : 1-4 ) ...

وفي القداش الباسيلي ، نقول مخاطبين الآب السماوي : " وفي آخر الأيام ظهرت لنا نحن الجلوس في الظلمة وظلال الموت بالظهور المحي الذي لإبنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، هذا الذي من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم تجسد وتأنس " ...

وما ورد في الفقرة المذكورة من سفر إشعياء هو نبوات واضحة عن ظهور الله علي الأرض بتجسد ابنه الوحيد الجنس الرب يسوع المسيح ...

ويؤكد الأنبا بيشوي علي أننا لا نستطيع أن نفهم ما في هذه العبارة ( ليتك تشق السماوات وتنزل ) من معان نبوية ، إلا في ضوء نزول الإبن الوحيد من السماء وتجسده وتأنسه من القديسة مريم العذراء . لهذا نقول في قانون الإيمان عن السيد المسيح :

( هذا الذي من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس ) ...

فقد كان هناك حاجزا بين السماء والأرض يفصل بين الإنسان والله . وبدأ الله الآب يشق هذا الحاجز حينما أرسل ابنه الوحيد إلي العالم كقول معلمنا بولس الرسول :

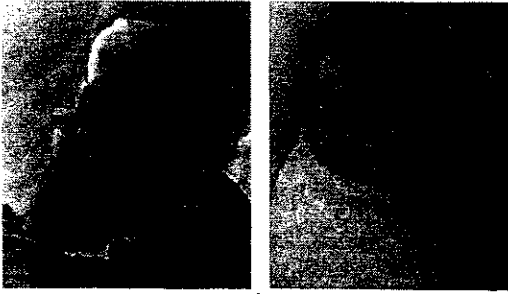
" لما جاء ملء الزمان ، أرسل الله ابنه مولودا من امرأة ، مولودا تحت الناموس ، ليفتدي الذين تحت الناموس ، لننال التبني " ( غل 4 : 4 - 5 ) .

لهذا صلي القديس سمعان الشيخ حينما حمل الطفل يسوع المسيح علي ذراعيه ، وبارك الله قائلا :

"الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام. لأن عيني قد أبصرتا خلاصك. الذي أعددتة قدام وجه جميع الشعوب. نور إعلان للأمم ومجدا لشعبك إسرائيل " ( لو 2 : 29 - 31 ) ...

بدأ الله في شق الحاجز حسب التدبير في قصده ، ولكن أعلن ذلك بصورة ملموسة في واقع الأحداث عندما انشق حجاب الهيكل إلي اثنين من فوق إلي أسفل وقت أن سلم السيد المسيح روحه البشري الطاهر المتحد باللاهوت علي الصليب ، صانعا الفداء ومصالحا الآب مع البشرية إذ أن " الله كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه " ( 2 كو 5 : 19 ) ...

ولكن إشعياء النبي - حسب الأنبا بيشوي - اعتبر نزول السيد المسيح إذ أخلي نفسه آخذا صورة عبد هو نوع من انشقاق للسماء لكي ينزل الرب الإله و " يدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا " ( مت 1 : 23 ) . ولا يمكن أن نفصل التجسد عن الصليب والفداء ، ولا عن القيامة والصعود ، لأن هذا هو عمل الفداء الخلاصي المتكامل...

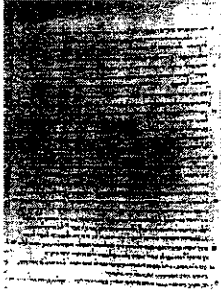


وكاتب السفر هو إشعياء النبي ، ومعنى اسمه " الرب يخلص " ، من نسل ملوكي ، ابن أموص أخو امصيا ملك يهوذا ، صاحب شخصية قوية نافذة علي رجال الدولة في زمنه ، وكان شاعرا ومصلاحا اجتماعيا . وقد قام بالعمل النبوي أكثر من 60 عاما في أيام عزيا ويوثام وأحاز وحزقيا ملوك يهوذا ، ويعتبر أعظم أنبياء العهد القديم ، وقد استشهد منشورا بمنشار خشبي في أيام منسى الملك ...

وسمي إشعياء أيضا بالنبي الإنجيلي ، ودعي سفره " الإنجيل الخامس " أو إنجيل إشعياء ، وهي تسمية مجازية لأن الأناجيل أربعة فقط ، وهو من أروع الكتابات النبوية ، فالسفر كله شعري ، باستثناء الإصحاحات الأربعة (36 - 39) مملوء بالاستعارات والتشبيهات...

وقد زاد إشعياء عن جميع أنبياء العهد القديم بكثرة نبواته عن المسيح ، لذا دعي بنبي الخلاص ، وكان له نصيب من اسمه ، إذ تحدث عن السيد المسيح من جهة ميلاده من العذراء مريم (7 : 14) مؤكدا لاهوته (9 : 6) ، وأنه من نسل داود (11 : 1) ، ممسوح لأجلنا (11 : 2) ، معن الحق للأمم (42 : 1) ، يسلك بالوداعة (42 : 2) ، يهب رجاء لكل (42 : 3). كما صور أحداث الصليب (ص53) ، فاتحا بقيامته طريق الفرح للمقدين (35 : 8 - 10) ، معطيا لنا ملكوتا جديدا فيه يسكن الذئب مع الخروف .. أي يجمع مؤمنين من كل أمه ولسان (11 : 6 - 10) ، كما تحدث عن الروح القدس (11 : 2 ، 32 : 15 ، 40 : 13 ، 42 : 3 ، 44 : 3 ، 61 : 1 ، 63 : 10)...

#### مبارك شعبي مصر



إذا كانت غاية سفر إشعياء هي " الخلاص " ، فإنه قد ذكر أكثر من عشرين مرة في أسفار العهد الجديد ، كما ان السيد المسيح نفسه قرأ هذا السفر تحديدا في مجمع اليهود في كفرناحوم كما ورد في إنجيل القديس لوقا :

"16- وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ حَيْثُ كَانَ قَدْ تَرَبَّى. وَدَخَلَ الْمَجْمَعَ حَسَبَ عَادَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَامَ لِيَقْرَأَ. 17- فَدَفَعَ إِلَيْهِ سِفْرُ إِشْعِيَاءَ النَّبِيِّ. وَلَمَّا فَتَحَ السِّفْرَ وَجَدَ الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ مَكْتُوبًا فِيهِ: 18- «رُوحَ الرَّبِّ عَلَيَّ لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لِأَشْفِيَ الْمَكْسُورِي الْقُلُوبِ لِأَتَادِي لِلْمَسْأُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ وَلِلْعَمِيِّ بِالْبَصَرِ وَأَرْسَلَ الْمَسْحُوقِينَ فِي الْحَرِيَّةِ. 19- وَأَكْرَزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةَ». 20- ثُمَّ طَوَى السِّفْرَ وَسَلَّمَ إِلَى الْخَادِمِ وَجَلَسَ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعَ كَانَتْ عِيُونُهُمْ شَاخِصَةً إِلَيْهِ. 21- فَايْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ: «إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هَذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ» (لوقا: 4: 16-21)...

لقد شهد السيد المسيح نفسه لأسفار العهد القديم المسماة بالتوراة ، وهو القائل لليهود «فَتَشَوْا الْكُتُبَ لِأَنَّكُمْ تَتَطَوَّنُونَ أَنْ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي» (يو 5 : 39) .. كان إشعياء النبي إنسانا متواضعا يتطلع نحو مجد الله ، ويتوعد شوقا أن يصير مجد الرب راية للشعوب .. وانطلق ببصره النبوي خارج إطار الأمة اليهودية ومملكة إسرائيل إلي كل شعوب الأرض مثل ما ورد في الآيات التالية : " ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسي القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم ويكون محله مجدا " ( إش 11 : 10 ) " ... ( إش 10 : 1 ) " التفتوا إلي واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لآتي أنا الله وليس آخر " ( إش 45 : 22 ) .. كان إشعياء قلبا يشتعل بالحب نحو الله ونحو البشرية جمعا ، لذلك أوحى إليه الروح القدس بنبواته الرائعة . وشملت هذه النبوات جميع الأمم بصورة لم يتقبلها الشعب اليهودي بسهولة حتي في بدايات الكنيسة في العهد الجديد . وهو الأمر الذي عمل فيه الروح القدس حتي أوضح لكنيسة الرسل مقاصد الرب بصورة متدرجة حتي وصلت لكمالها...

وأختص إشعياء في نبوته " مصر " وشعبها ، بنبوات رائعة مثل قوله : " في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخمها " ( إش 19 : 19 ) ، وقوله : " بها يبارك رب الجنود قاتلا : مبارك شعبي مصر " ( إش 19 : 25 ) ..

وليس ذلك فقط ، فقد انشقت السماوات علي مرأى من يوحنا المعمدان عند عماد السيد المسيح في نهر الأردن وحل الروح القدس علي رأسه بهيئة جسمية مثل حمامة وصوت الآب من السماء يقول :

" هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت " ( مت 3 : 17 ) ...

كما انشق نهر الأردن عندما نزل الكهنة حاملو تابوت العهد فيه ليفتح الطريق إلي أرض الميعاد ولكن عندما نزل تابوت العهد الحقيقي إلي مياه الأردن لم تنشق المياه بل انشقت السماوات ليفتح لنا السيد المسيح الطريق إلي السماء عن طريق سر العماد المقدس الذي به ننال التبني...

ويمكننا أن نفهم أيضا ، كما يقول الأنبا بيشوي ، أن السماوات قد انشقت عند صعود السيد المسيح جسديا وهو مائي الوجود كله بلاهوته . ولذلك صاح الملائكة المصاحبون للإبن المنتصر علي الهاوية والموت في صعوده مخاطبين الملائكة حراس الأبواب السمائية : " ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم ، وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية ، فيدخل ملك المجد " ...

وعندما تساءل الحراس : " من هو هذا ملك المجد ؟ " . أجابوهم : " الرب العزيز القدير ، الرب القوي في الحروب .. رب القوات ، هذا هو ملك المجد " ( مز 24 : 7 - 10 ) .

ويقول معلمنا بولس الرسول عن دخول السيد المسيح إلي المقدس السماوي " تدخل إلي ما داخل الحجاب ، حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا " ( عب 6 : 19 - 20 ) ...

[dressamabdalla@yahoo.com](mailto:dressamabdalla@yahoo.com)